Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— ١ —
سرقة المدلول

سرت أفكار المعتزلة فيمن تأثر بها من النقاد والبلاغيين ، وأبرزها أن الشعر العربى مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها ، فضلاً عما يضطلع الشعر به فى الإفصاح عن حاجة النفس الإنسانية ، ويمنح هذا الإيمان أصحابه قوة فى وقفتهم ضد الشعوبية ، لأن الشعر فى نظر هؤلاء المدافعين عن العرب تراث عربى خالص ، وقد أبرز الجاحظ الصلة بين الشعر والعرق ، ثم بين الشعر والغريزة ، إذن الانشغال بقضية المعنى التى أثارها الجو الاعتزالى العقلى كان ذا صلة وثيقة بتوجيه النقاد حينئذ إلى رصد المعانى المشتركة بين الشعراء وأخذ اللاحق منهم من السابق يستوى فى ذلك القدماء والمحدثون[٣] . ولقد شهد الجاحظ لثمامة بن أشرس المعتزلى بقوله : « المعنى الكريم يحتاج إلى لفظ كريم وليس ذلك بأن يكون المعنى من معانى الخاصة » « وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة »[٤] .

فالمعنى كما اعتنق البليغان المعتزليان هو ما يتراءى أولا ومدار البلاغة هو فى إفهام المستمعين وعلى هذا تأسس المفهوم البلاغى « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » على ما ذكرته الصحيفة الهندية : « ... مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم »[٥] .

فلا يخفى — إذن — أن الكلام السابق يلح على بيان تسخير المعتزلة للألفاظ خدمة منهم للمعانى لكى يتسق ما كانت تنطوى عليه مذاهبهم مع ظاهر النصوص قال ابن جنى : « إن المعانى أقوى عندها — أى العرب — وأكرم عليها ، وأفخم قدراً فى نفوسها »[٦] .

---

(٣) راجع : تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٦٦ إلى ص ٧٠ .
(٤) البيان والتبيين ١ /١١١ .
(٥) السابق ١ /٩٢ — ٩٣ .
(٦) الخصائص ١ /٢١٥ .